#براءة_كتاب_التوحيد من الاتهامات

د. بدر بن علي العتيبي
@badralialotibi1

[١] بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله. فهذه تغريداتٌ عابرةٌ أُبيِّن فيها #براءة_كتاب_التوحيد من اتهامات المبطلين، وتطاول المعتدين، وزيفِ المعاندين، مبيناً فيها طريقة الكتاب ومضمونه وأهميته، وما يجدر معرفته عنه باختصار بما يناسب المقام، فأقول مستعيناً بالله:

[٢] صنَّف شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كتاب التوحيد على طريقة أهل الحديث في مصنفاتهم معتمداً على فقه التراجم، والاقتصار على الآيات والأحاديث والآثار، كما هي طريقة الإمام البخاري في صحيحه، وغيره وهذه طريقةٌ أثريةٌ سلفية: تدلُّ على سلامة المضمون وأصالته.

[٣] ويمتاز "كتاب التوحيد" -كسائر مؤلفات شيخ الإسلام رحمه الله تعالى - بثلاث مزايا: الأولى: الاعتماد الكلي على نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف. الثانية: الاهتمام بأصل الأصول: التوحيد، ومقتضى لا إله إلا الله. الثالثة: البعد عن التكلّف، والتنطع، مستوحش الكلام.

[٤] لم يكتب الإمام لكتابه مقدمة، ولكن ترتيب أبواب الكتاب، وترتيب النصوص ضمن كلّ باب، وانتقاء بعض الأخبار والألفاظ دون غيرها: كلُّ ذلك يدل على من لديه أدنى نظر : عُمق فقه الإمام، وحسن ترتيبه واستدلاله وانتقائه. وهذه طريقة المحققين من أهل العلم كالبخاري وغيره.

[٥] لم يخالف الإمام في كتاب التوحيد: إجماعاً، ولا نافرَ جمهورا، بل مشى في كتابه على ما قرره العلماء من قبل: لاعتماده في النقل والفهم على: ما في دواوين السنة الكبرى. مع مصنفات: شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والنووي في الرياض والأذكار وابن رجب في لطيف مصنفاته.

[٦] بدأ رحمه الله تعالى كتابه بما يشابه المقدمة عن: - أهمية التوحيد. - فضل التوحيد وتحقيقه في بابين. - وخطورة الشرك والخوف منه في باب. - والدعوة إلى التوحيد في باب. - وعرضٍ مختصرٍ لمضمونه في باب (تفسير التوحيد). ثم شرع في أبوابه على ترتيب لطيفٍ رائق حتى آخره.

[٧] ولأنَّ لا إله إلا الله، نفيٌ وإثبات: فالإثبات: قاعدةٌ واحدةٌ واضحة. أما المنفي من الشرك فصوره عديدة: (قولية وفعلية وقلبية) فاقتصرَ الإمام في "الإثبات" على المقدمة. أمَّا ما يحقق "النفي" ففي غالبِ الأبواب في بيان (الشركيات) التي (تَنْقض) التّوحيد أو (تُنْقِصَه).

[٨] ولذلك يُكثر في "كتاب التوحيد" بيانَ صورٍ عديدة من الشركيات القولية والقلبية والفعلية، ثم هو تارةً يصرّح بالحكم، وتارةً يعلّقه؛ لاختلاف صور الحكم، ولم يَشترط الاستيعاب وإنما ذكر: - الأخطر - والأشهر، وليس هو أول من سلك هذا المسلك من العلماء، فله في ذلك سلف.

[٩] فمن أهل العلم من صنَّف في "مساوئ الأخلاق والكبائر" كالخرائطي والذهبي والهيتمي ومنهم من صنَّف في "النواقض وألفاظ الكفر" كبدر الرشيد الحنفي والخاني والهيتمي وغيرهم، ذكروا فيها (مئات) المكفرات التي تنقض أو تُنقص التوحيد والإيمان. وكل هذا تنقيةٌ للمجتمع من الشرك.

[١٠] ولا أعلم في كتاب التوحيد أصلاً أو باباً أو حكماً إلا وهو ما بين: المنصور بالإجماع أو الموافق للجمهور أو قال به جمعٌ من أئمة السلف ومن أوله إلى آخره -بل سائر مؤلفاته رحمه الله - لا يوجد قولٌ خرقَ به الإجماع، أو شذَّ به عن الأئمة ومن قال غير ذلك فهو كذاب مفتر .

[١١] وقد علّقت على كتاب التوحيد بتعليقات خصصتها بموافقة شيخ الإسلام رحمه الله تعالى لجماعةٍ من أهل العلم من قبله، حتى إنه يذكر العديد من "التراجم" بالنص من كلامهم كأبواب عدة من "رياض الصالحين" و"الأذكار" للنووي في بعض المخالفات اللفظية.

[١٢] وأحاديث "كتاب التوحيد": - ليس فيها ما لا أصل له - وأكثرها في الصحيحين أو أحدهما. - وما كان في غير الصحيح: أكثره صحيح، وهو غالباً يبيّن صحته وجودة إسناده والمضعّف في كتابه قليلٌ بالنسبة إلى باقي أحاديثه، ويأتي به المؤلف للاستشهاد، وهي من المعمول بها في بابها .

[١٣] وختاماً: كل من انتقد "كتاب التوحيد" إنما انتقده بهوىً في نفسه لا بقواعدَ علمية معتبرة، وهو محجوجٌ بمن سبقه من أهل العلم الذين ذكروا الأحاديث كذكره، واستدلوا بها كاستدلاله، وفهموا منها ما فهم. وكفى هذا الكتاب شرفاً: بركة الانتفاع به، وانتشاره بين الناس.

تم بحمد الله